ISSN: 2437-041X مجلة أنثروبولوجيا
DOI : مجلد: 04 عدد: 08 السنة 2018

# المثل الشعبي بين المخيال الثقافي المغربي والنصوص المقدسة

# Popular ideals Between the Moroccan cultural imagination and the sacred texts

أحمد التاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة-المغرب

ahmedtari85@gmail.com

**الملخص:**

**ترتبط الأمثال الشعبية بالأدب الشعبي الذي يعتبر خير وسيلة تلقائية تعبر بها الأمم عن ذاتها بكل حرية، ودون أي قيد، فالأدب الشعبي تعبير صادق عن أحلام الأمة، وآمالها وبؤسها وشقائها وهو ظلها الذي يصاحبها عبر الزمن، مهما اختلفت الأحوال والأماكن، ويقول عباس الجراري في ذلك "أن أي مجتمع يشكل لنفسه ثقافة تستجيب لحاجاته الفكرية والنفسية والاجتماعية، وبقدر ما تكون هذه الاستجابة تكون قوة الثقافة وبقدر ما تكون مضامين هذه الثقافة متكاملة وهادفة لغايات، يكون اتجاه الثقافة في خط عملي، أو في خط وهمي خرافي وإن كانا معا يسعيان إلى تنظيم المعارف والعلاقات وأنماط الحياة المختلفة، وربطها جمعيا بالمعتقدات التي يقع الاطمئنان إليها عند تفسير الخوارق التي تستعصي على إدراك البشر"[1].**

**الكلمات المفتاح: المثل الشعبي، المخيال الثقافي، النصوص المقدسة، الانثروبولوجيا، المغرب.**

**Abstract**

Popular idioms are currently related to the popular literature, which is considered the bast way, through which the nations express themselves all freely. And without any obstacle, the

Popular or the common literature is a sincere expressing of the nation's dreams, hopes, misery and suffering. And it is its companion shadow by the periods of time, whatever the places and the cases differs. As Abbass ELJIRARI says about that: Society

establishes a culture for itself which interacts with its mental, psychological, and social needs. Also, power of the action be as much as this interaction acts, as well as the culture destinates in a practical line as long as its contents are complete and aiming to certain goals. Or in an illusionary, mythical line thus if they mend together, for the sake of organizing knowledge and various life styles. Relating them with thoughts and beliefs that are relieving, when it comes to explaining superstitions that humans find hard to reach.

Keywords: the popular idiom, the cultural fantasy, the sacred/divine texts, anthropology, Morocco.

**مقدمة**

ترتبط الأمثال الشعبية بالأدب الشعبي الذي يعتبر خبر وسيلة تلقائية تعبر بها الأمم عن ذاتها بكل حرية، ودون أي قيد، فالأدب الشعبي تعبير صادق عن أحلام الأمة، وآمالها وبؤسها وشقائها وهو ظلها الذي يصاحبها عبر الزمن، مهما اختلفت الأحوال والأماكن، ويقول عباس الجراري في ذلك "أن أي مجتمع يشكل لنفسه ثقافة تستجيب لحاجاته الفكرية والنفسية والاجتماعية، وبقدر ما تكون هذه الاستجابة تكون قوة الثقافة وبقدر ما تكون مضامين هذه الثقافة متكاملة وهادفة لغايات، يكون اتجاه الثقافة في خط عملي، أو في خط وهمي خرافي وإن كانا معا يسعيان إلى تنظيم المعارف والعلاقات وأنماط الحياة المختلفة، وربطها جمعيا بالمعتقدات التي يقع الاطمئنان إليها عند تفسير الخوارق التي تستعصي على إدراك البشر"[2].

## أولا، المثل في المخيال الثقافي المغربي:

### 1- مفهوم المثل

تعتبر الأمثال خلاصة خبرات وتجارب الشعوب عبر الزمان، يستخدمها الناس على اختلاف طبقاتهم للتعبير عن الموقف الراهن أو الواقع الحالي، أو لحض الناس على فعل شيء ما أو منعهم عن إتيان شيء أخر، وقد استعملت الأمثال لتعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي، أو لتربية الأبناء، ومن هنا اكتسب المثل أهمية خاصة وكبرى

في حياة الإنسان والمثل تعبير عن فلسفة الحياة وعصارة مختلف التجارب التي وسمت العنصر البشري في اتصاله وتواصله بمختلف مناحي الحياة ومكوناتها.

وتتخذ لفظة "مثل" في معظم المعاجم العربية جملة معاني منها: الشبه، والنظير، والصفة، والحجة، والعبرة، والقول السائد بين الناس، المشهور بين عامتهم وخاصتهم، يضربونه لتصوير المعنى المراد، تصويرا حيا، بأوجز عبارة وأبلغها تأثيرا في النفوس، والذي يخصنا من هذه المدلولات هو هذا المدلول الأخير، وقد انبرى لتعريف " المثل " بهذا المعنى عدد من علماء اللغة والأدب والفلسفة، ومصنفي كتب الأمثال نورد فيما يلي شيئا من أقوالهم في هذا الموضوع:

يقول **رودلف زلهايم** أن "الأصل السامي للفظة مثل في العربية هو: mṯl وفي العبرية mâšāl وفي الآرامية matla وفي الحبشية mesel وفي الآكادية meŝlum) يتضمن_حسب اشتقاقها _ معنى المماثلة، كما برهن على ذلك " أوتو أيسفلد " في مقاله " المثل في العهد القديم" Der maschal im alten testament وبهذا المعنى شرح الزمخشري أصل الكلمة في كتابه "الكشاف" ( في شرحه لسورة البقرة 2_16 = صفحة 39 من طبعة كلكتا 1856) ويشبه ذلك ما في مقدمة كتابه : المستقصى في أمثال العرب –فأصاب في شرحه، حين يقول: " والمثل في أصل كلامهم، بمعنى المثل و النظير"[3].

قال المبرد" المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به الحال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه"[4].

وقال ابن السكين " المثل لفظ يخالف المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره"[5].

وقال ابن عبد ربه "الأمثال هي وشيء الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسير شيء كسيرها، ولا عم عمومها، حتى قالوا أسير من مثل"[6]

وقال ابن منظور أن للفظة "مثل" معاني " كالنظير والصفة والعبرة، وما يجعل مثالا لغيره يحدا عليه إلى غير ذلك من المعاني..."[7].

وقال الفارابي "المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظة ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء "[8].

وقال أبو هلال العسكري ولما عرفت العرب الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائداتها"[9].

ويقول أرسطو "المثل هو العبارة التي تتصف بالشيوع والإيجاز، ووحدة المعنى وصحته"[10].

كما يقول آرثر تايلور"المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع"[11].

وللمثل خصائص يحصيها إبراهيم النظام في أربعة بقوله" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة، "[12]، ويمكن أن نجملها فيما يلي :

_ إيجاز اللفظ فالمثل عبارة قصيرة لا تتجاوز بضع كلمات، وهذا هو السبب في سهولة حفظه وانتشاره والإيجاز ركن أساسي من أركان البلاغة عند العرب، ومثله "عينك ميزانك "

_ الإصابة في المعنى: أن المثل عبارة صغيرة ينبغي أن تنطوي على فكرة صائبة، تتفق مع الواقع وتخضع للمنطق من مثل " لي حرث العيب كيحصد الندامة ".

_ التشبيه: المثل مبني على المماثلة والتشبيه " طويل خاوي بحال درب اليهودي".

_ الكناية : ذلك أن المثل الشعبي يلجأ للكناية للتعبير عن قيمة أو فضيلة معينة.

_ تركيز الفكرة.

_ الرشاقة اللفظية: ففي المثل جرس موسيقي وتناغم بين الألفاظ وتناسق الجمل، وتجانس الجمل بين الحروف، وتأتي موسيقى الأمثال بالاعتماد على السجع والمجاز والقافية.

**2- المثل في المخيال الشعبي المغربي**

كما يعبير الأدب الشعبي بالكلمة عن الإنسان وما طالته قدرته التصويرية، وهو يفارق الأدب الرسمي في فنونه بل إنه يتسع أكثر منه باعتبار تلقائية لغته واتساع مساحات إبداعه

وتلقيه، والتقرير بأنه أدب تضمن شروط الأدبية منح للدارسين تقسيمه إلى أنواع، بل وأبعد من ذلك جعلهم يخوضون في تخصيص الأنواع، فوضعوا تصنيفان داخل فن الأدب الشعبي، وفي ذلك يقول إدريس كرم بأن الأدب الشعبي يعتبر" جزء ركينا من التراث وتعبيرا عن مقومات الشخصية الوطنية والذات الجماعية والاهتمام به اهتمام بهذه الذات وبتلك المقومات، إذ الأدب الشعبي يعتبر عند الدارسين أهم من حلقات التراث الشعبي فدراسته إذن من شأنها أن تساعد على فهم عقلية حاملة وتطلعاته لأنه تعبير لغوي عن الممارسة السلوكية الكائنة أو المتوقعة أن تكون سواء على مستوى المادة أو الروح"[13]

في حدود هذا الكلام يبدوا الأدب الشعبي صورة مستنسخة عن حياة المجتمع ترسم معالمه وجزئياته، ويكون التعريف أعجز عن نقل حقيقة الأدب الشعبي، كما أنه متعلق في أصله بوجود اللغة وممارستها في بث كيان الإنسان وجماعته، وصب مدركاته وروحانياته في قوالب الحكمة ومن أصناف الأدب الشعبي حسب إدريس كرم المثل الذي يعتبره " قالب لغوي يشير إلى تجربة أو نموذج معرفي ناتج عن سلوك سابق يعتقد أنه سيتكرر من طرف الموجه إليه الخطاب أو الذي يدور عليه الحديث ويتميز بالشمولية والجدية وسهولة الإقحام، وكما يقول الفقهاء " جامع مانع" يقال لوضع حد أو إقفال الباب أمام كل اجتهاد وجدال محتمل، ويتخذ المثل فاعليته وقوته من مقدار ملائمته شكلا للموضوع الذي أريد له أن يكون معبرا عنه ومانحا له صفة المشابهة والمشاكلة "[14].

ويشكل المثل الشعبي السائر بصفة عامة مقولة معروفة متوازنة، تؤدي المعنى المقصود يستحضرها المتكلم لتبليغ حكمة لمرسله أو لمتلقيه أو لتوضيح معنى غامض أو الاكتفاء بها عما يراد التصريح به من كلام قد يطول أو يكون جارحا أو تربويا، والمثل الشعبي في العامية كما في الفصحى قد يرد في كلام متحدث ما فيعجب به البعض نظرا لبلاغته وحمولته الثقافية والاجتماعية، ويتناقله الناس فيثري صيغ كلامهم وحواراتهم، من دون أن يسأل أحد عن قائله أو لمن يعود في الأصل.

وتلك الأمثال تتجدد وتنمو بنمو لغة القوم وعاداتهم وتصير جزءا من حياتهم، ولكل جماعة أو مجتمع تراثه الفني وأمثاله التي تعبر عن طبيعة عيشه وعن طقوس وعادات أفراده داخل المجتمع. ويعتبر المثل الشعبي المغربي سواء العربي أو الأمازيغي أو الحساني أو اليهودي المغربي، من بين أبرز الأساليب التربوية التي يمكنها أن تحافظ على التراث والهوية المغربية، بل وتشكل رؤية حضارية للماضي والحاضر والمستقبل، باعتباره حكمة شعبية أو هو فن القول في الثقافة الأمازيغية المغربية الذي لا يختلف في شكله وبنيته ومدلوله وأبعاده عن المثل في

ثقافات أخرى محلية أو عالمية، إذ وراء كل مثل شعبي نجد تجربة معيشة أو قصة ذات مضمون ومغزى شخوص وحبكة وأحداث تتبادر إلى ذهن المتلقي وتحيله على مرجعية ثقافية تتجدر مكوناتها في الذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع المغربي، كما تعكس الأمثال الشعبية المغربية قيم المسؤولية، والوحدة، والتعاون والتجربة والعمل والأخلاق الحميدة، وتستحضر هذه الأمثال حينما يتكرر الموقف الذي صيغ فيه المثل، وأهم وظيفة للمثل المغربي سواء العربي أو الأمازيغي أو اليهودي المغربي أو الحساني أنه يرسخ تجربة السلف ونمط عيشهم، ويمكن أن يكون رياضة ذهنية ولغوية وثقافية تختبر قدرة المتلقي على التحليل والتأويل والفهم حسب السياق والوضعية والحادث.

كما تعبير الأمثال الشعبية المغربية بأسلوبها الراقي في الأدب الشفهي المحلي عن دور ريادي ووظائف متعددة، فقد نجد المثل الذي يحث على دور الأم في التربية بأزكى القيم وأعلى مراتب النبل كالتسامح والإخاء والتعاون. وتعد الأم والمحيط الاجتماعي الذي تنتمي إليه، من بين أهم القنوات المسؤولة على تربية الطفل خاصة وتوجيهه في سلوكاته وشخصيته، وجعله قادرا على المسؤولية داخل المجتمع، ويتضح من خلال مجموعة من الأمثال التي يتداولها أفراد المجتمع المغربي المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية أن أهداف التربية على القيم الإنسانية حاضرة وبشكل قوي في فكر الفرد المغربي بصفة عامة، ويظهر ذلك من خلال الأهمية البالغة التي يكتسبها تلقين مبادئ التربية الصالحة لناشئ مند نعومة أظافره، وتنشئة الطفل عليها، ويبدو كل ذلك في سلوكاته الأخلاقية وكيفية تفاعله مع الآخرين. " ولا شك أن أمثال كل أمة من الأمم نابعة من بيئتها الاجتماعية والجغرافية ومن محيطها الفكري والديني، ومستمدة من واقع تجاربها في الحياة اليومية ومن أحداث وقعت لأفرادها وجماعاتها في تاريخها المديد وخلقت أبعد الأثر وأبقاه في نفوسهم وعقولهم والإنسان قديم العهد بالأمثال والحكم الشعبية، قدم تجاربه على هذه الأرض، ولذلك فمن العسير إن لم نقل من المتعذر الجزم بتاريخ نشأة هذه الأمثال عنده، ولكن لما كانت الأمثال وليدة تجارب الناس في تعامل بعضهم ببعض، فمن المحقق أنها بدأت تظهر بعد تكون المجتمعات البشرية الأولى وأنها شأن الشعر والخطابة، كانت تروى رواية قبل جمعها وتدوينها.

كما تميزت الأمثال الشعبية بشموليتها ومزاياها المتعددة، التي تطرقت إلى كل جوانب الحياة ونخص بالذكر هنا أمثال يهود المغرب التي لا تختلف عن بقايا أمثال الشعبية المغربية، ذلك أن "المثل لم يترك جانب من جوانب هذه الحياة دون أن يتناوله بطريقته الخاصة، فتحدث عن الفرد في كل دقائق حياته، وتحدث عنهم في أسرته ومجتمعه الخاص مع بني جلدته، وتحدث عنه وهو في مجتمعه الكبير مع أبناء وطنه"[15].

لقد رأى الزعفراني في هذا النوع أنه" فولكلور من الإبداع الشعبي، الذي قد يقصد به التفريج عن السامع بتعبير يتزيا لوبس الإضحاك، أو يقصد تلخيص تجربة في أقل عبارة كان في نفس الآن يقصد التربية والتثقيف.والأمثال اليهودية المغربية، زيادة على أهميتها لدى الدارس اللساني، فإنها تذكر بالعلائق التي كانت تربط بين اليهودي المغربي مع محيطه الإسلامي القريب منه ومع الفكر الشامل "[16]

كما احتلت الأمثال الشعبية موقع مهما في ثقافة اليهود المغاربة، نظرا لوقعها على نفوسهم وحضورها القوي في إنتاج وإعادة الإنتاج آليات التفكير والاشتغال المرتبطة بالمجال الثقافي ليهود المغرب، وذلك في قالب أكثر إيجازا في ألفاظها، مخولة بذلك لصاحبها سلطة رمزية خلال محطات النقاش والحوار، خاصة وأن المثل ( المشل ) في الثقافة اليهودية المغربية يحيل على السيطرة والتحكم في القضايا ذات الصلة بالجانب الدنيوي المشترك والديني الخاص.

كما أشار الزعفراني إلى أن "المثل اليهودي مثله مثل الآداب العامية واللهجية في المغرب، يشهد على متانة معارف يهود المغرب بالتراث الربي والأصول التوراتية والتلمودية، وكذا ( بالمدرشيم ) أي الاجتهادات التفسيرية والتشريعية، "وزوهار" أو الكتابات الباطنية التي حولها المثل إلى نوع تعبيري مناسب لظروف وحياة الناس في محيطهم المغربي هذا، وذكر بأن المثل من آداب الشعبية التي لا تعرف حظوظ في مجال العقيدة والدين، لذلك ففي المثل اليهودي المغربي تمحى هذه الحدود ولا يجد الناظر أمامه إلا مواطنين مغاربة ولا غير"[17]. وعلى هذا أساس يمكن القول إن الثقافة الشعبية ليهود المغرب وعلى غرار بقايا الثقافات تضم مجموعة من الأمثال التي يتسم بعضها بالخصوصية أي اليهودية، دينية الأساس، أم دخيلة نتيجة الاحتكاك وعلاقة التأثير والتأثر بين اليهود وبقايا الأمم في لحظات تاريخية معينة، هذه الأمثال وعلى اختلاف الحقول التي تتحرك فيها، تحمل في جوهرها العديد من القيم أخلاقية والتربوية ويكون الهدف منها التربية والتعليم، - كما تحاول أن تعبر تمت الإشارة سالفا - عن أنماط معين من التعبير والتفكير على مستوى مختلف مجالات الحياة، اجتماعية كانت أم دينية أم اقتصادية أم سياسية، وما يرتبط بهذه الحقول من حقول فرعية أخرى ذات ارتباط بالعلاقات الزوجية والأبناء والأخلاق والتربية و...،

## ثانيا، المثل في النصوص المقدسة

### 1- المثل في القرآن الكريم

لا يفوتنا هنا أن نذكر الأمثال في القرآن الكريم، والقرآن هو كتاب العربية الأول، والذي يلجأ إليه كل دارس للعربية في جميع مجالاتها، لأنه حافل بها يستعملها توضيحا وتفصيلا وتباينا. ولما كان للأمثال أثرها في تقريب المراد ودورها في توضيح الغائب، وتشبه الخفي بالجلي، ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم. وقد ذكر زركشي أن من حكمة الله تعالى البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة والمثل أعون شيء على البيان "[18]. ويستفاد من الأمثال في القرآن الكريم أمور كثيرة، كالتذكير والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس"[19].

والأمثال في القرآن الكريم على ضربين: ظاهرة وكامنة.

فالأمثال الظاهرة في القرآن الكريم هي عبارة تشبه شيء بأخر، أو تمثيل صورة غائبة بصورة مشاهدة محسوسة ليسهل تصورها وإدراكها. فمن ذلك قوله تعالى عن المنافقين "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون"[20]. وقوله تعالى "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة"[21].

وقوله تعالى: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا"[22].

وقوله عز وجل" مثل الذين حملوا التوراة ثم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا"[23].

وقد تحدث العلماء عن هذه الأمثال والصور، وأوضحوا ما فيها من الإعجاز والبيان، ويلحظ أن المثل القرآني هنا يعني تشبيه شيء بأخر، وهو يختلف عن المثل في الاستعمال الاصطلاحي، الذي هو القول المشهور والعبارة المرسلة، التي تحمل معنى وعبرة، وتشير إلى قصة وحادثة.

"والنوع الثاني من الأمثال هو( الأمثال الكامنة) وهي عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة توافق في معناها بعض الآيات القرآنية، فقول العرب: " إن الحديد بالحديد يفلح " يقال إنه قريب من قوله تعالى" جزاؤا سيئة سيئة مثلها "[24].

وقولهم " من نكح الحسناء يعط مهرها" يوافق معنى قوله تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقون مما تحبون"[25]، وقد أطلق على هذا النوع ( الأمثال الكامنة في القرآن الكريم)[26]. ويضيف الزركشي في ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى، إذ الغرض من المثل تشبيه

الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والزهد في الكفر له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه"[27].

وعلى العموم فإن للأمثال أهمية خاصة، نظرا لمكانتها الرفيعة بين أفراد المجتمع ومنزلتها المرموقة داخل الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى، وقد تحدث عنها الكثير، وقد بدا ذلك جليا من خلال مكانتها في النفوس، فالمقفع رأى في المثل إيضاحا للمعنى ومجالا لتوسع في الحديث، من غير أن يفقد الحديث رونقه، ووقعه الحسن عن الأسماع، فقال " إذا جعل الكلام مثلا كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وآنف للسمع، وأوسع لشعوب الحديث "[28]. فقد ظل المحدثون يؤكدون ما كان قد ذهب إليه القدامى حول المثل، وذلك من خلال إبراز عدة جوانب تبين أهمية المثل "فالمثل قول قصير مشبع بالذكاء، إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله فيعيش تجربة المثل، ويعبر عنها تعبير تحليليا دقيقا"[29].

**2- المثل في التوراة**

لقد جاء سفر الأمثال حاملا لمجموعة من القيم والتعاليم التي يحض عليها الكتاب المقدس، وقد اشتملت على عدة طرق لتعليم، من بينها قصص سقوط وتوبة كثيرين لأخذ العبرة والموعظة، كما ارتبط الالتزام بها بالشريعة اليهودية، فالطرق التي اعتمدها سفر الأمثال ارتبط استعمالها قديما بالمصريين واليونان والفرس وشعوب أخرى كثيرة. فهذه "الأمثال من الطرق السهلة لتعليم، وذلك لأنها تعبير عن الشعوب فالأجيال تتسلم الأمثال من القدماء كخلاصة فكرهم واختباراتهم وتسلمها للأجيال التالية، فهي تشكل فكر الشعوب بل تعبير عن ثقافة وحضارة هذه الشعوب"[30] فهذا السفر ملئ بالحكم والنصائح العلمية والحقائق الأخلاقية ويتناول معظم شؤون الحياة، وتعود بداية هذا السفر عندما أصبح سليمان ملكا. وسليمان هذا هو ابن داود وبت شيفع، وعندما ولدته أمه أطلق عليه أبوه داود هذا "فدعا اسمه سليمان والرب أحبه"[31] ويعني في العبرية " سلامة الرب أو سلامته" وأطلق عليه داود هذا الاسم متمنيا له سلاما بلا حرب"[32] وطبقا لما جاء في الترجوم و" البشيطا"، "فإن الذي أطلق عليه الاسم هي أمه وليس أباه"[33]، ثم أطلق عليه النبي ناثان اسم "يديديا" أي " محبوب يهوه"[34]. وجاء في سفر صموئيل الثاني " وأرسل بيد ناتان النبي ودعا اسمه بديديا من أجل الرب"[35]. ويقول "قاموس العهد القديم إن الاسم الذي أطلقه عليه ناتان وهو يديديا ومعناه "المحبوب من يهوه" أو " محبوب يهوه" وهو نفس المعنى اسم " داود" إلا أنه لم ترد أي إشارة لسميته " يديديا" مرة أخرى، ربما لأنه اسم مقدس، لقد كان هذا الاسم ثمرة لفضل الله على داود. غير أن اسمه الرئيسي الظاهر كان سليمان وهو اسم مماثل للأسماء الفينيقية المشابهة مثل، شلومين وبعل شلوم. ويظهر تفسير للاسم من النص الوارد في سفر أخبار الأيام

الأول ( 22_9 ) "هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحة من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاما وسكينة في إسرائيل في أيامه وتصنيف الموسوعة اليهودية قائلة "إن اسم سليمان في التراث اليهودي كان في الأصل "يديديا"( المحبوب من يهوه) ونسخ هذا الاسم وأبطل وحل محله اسم سليمان بسبب السلام الذي ساد في عهده، وقد عرف أيضا باسم ( قوهلت) أي"الجامعة " إذ ورد في سفر الجامعة ما يلي:

" كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم""[36]

" وكما أكرم الله داود بأن ألان له الحديد ، فقد أكرم الله -عز شأنه- سليمان بأن سخر له الجن، قال تعالى " ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه " (سورة سبأ الآية 12) وقال تعالى " ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين" (سورة الأنبياء الآية 81) وهذا دليل على أهمية ملك سليمان عليه السلام. "وفي أثناء حكم سليمان ساد البلاد السلام، وبنى معبدا في القدس سمي باسمه، وقد استمرت المملكة التي أنشأ داود وابنه سليمان عليهما السلام قائمة مدة ثلاثة وسبعين عاما فقط"[37]. وقد ارتبط هذا السفر بسليمان الذي يعتبر مؤلف من أقوال الحكمة تسمى أمثلا، وهو مكتوب بالعبرية على طريقة السجع.

وكما سفر المزامير يسمى "مزامير داود" تغليب، لأنه كتب عددا منها لا كلها، كذلك سفر الأمثال يسمى " أمثال سليمان " لأن سليمان مؤلف قسم كبير من محتويات هذا السفر على حد قول القس سيل"[38]. ويقدم سفر الأمثال نصائح علمية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وهدفها تعليم الناس كيف يحيون حياة نقية صادقة وأمينة، بتكرار الأفكار الحكيمة، وكلمة ( مثل) تعني يوجه أو حكم، أي توجيه الناس نحو الطريق القويم، ويبحث سفر الأمثال في مواضيع متعددة منها الشباب الحياة الأسرية، ضبط النفس، مقاومة التجربة أي الشهوات والرغبات الفاسدة، شؤون الأعمال، الأقوال واللسان، معرفة الله والزواج، البحث عن الحق، الثروة والفقر والفجور. يتضمن سفر الأمثال شعرا، أمثال قصيرة، أسئلة محددة، المتناقضات، والمقارنات. ويتكون سفر الأمثال من مقدمة ثم حكمة للشباب وهي عبارة عن ثلاثة عشر درسا للحكمة، ثم الحكمة لجميع الناس وبعد ذلك الحكمة للقادة وختاما المرأة الفاضلة وصفاتها. ويقول في هذا الصدد حسن ظاظا أن "سفر الأمثال يحتل مكان بارزا على المستوى الشعبي وفي أوساط العلماء، بحيث لا يحمل بنا أن نمر به بدون توقف، وهذا السفر يحمل عنوان هو أطول عناوين العهد القديم على الإطلاق إذ يشغل هذا العنوان الأيام الست الأولى من الإصحاح الأول وترجمتها، أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل، لمعرفة

الحكمة والتأديب، للتفطين لأقوال الفطنة لاستفادة تأديب التعقل، العدل والحق والاستقامة،لإنالة الأغرار دهاء، والحدث علما وتدبيرا، يسمع الحكيم فيزداد فائدة، والفطين يكتسب دربة للتفطن للمثل والأحجية، لكلمات الحكماء وألغازهم "[39]. وقد شكلت هذه الأمثال نواة الحكمة لدا المجتمع اليهودي، وكانت دعوة إلى الالتزام بها، وتمتع بخصالها من بين المسائل الدينية التي يدعوا إليها الله ورسله، والملك سليمان من بين الذين أعطيت لهم هذه المسؤولية " ثم إن تاريخ نهضة الحكمة في العهد القديم قد احتوته صفحات سفر الأمثال، ومن المتفق عليه إجماعا بين علماء الكتاب، أن هذا السفر، في وضعه النهائي، يرجع تاريخه إلى بعد عصر عزا، وهو العصر الذي ازدهرت فيه مدارس الحكمة، ولكن سفر الأمثال ، مثل أسفار التوراة الخمسة الأولى يمثل الطور النهائي لأحاديث متواترة ترجع في بداءتها على الأقل إلى إعطاء سليمان، الذي ربما يكون قد وضع أو جمع نواتها الأصلية الأولى"[40]. ويدخل سفر الأمثال في الجانب التشريعي والديني لدا اليهود بصفة عامة هذا الجانب الديني الذي يشترك فيه جميع اليهود في العالم سواء المغاربة أو غيرهم، فكل ما له ارتباط بالشق الديني يبقى من المسائل الخصوصية التي يجتمع عليها كافة اليهود، حيث تستخدم عبارة " الشريعة اليهودية " للإشارة إلى النسق الديني اليهودي ككل مع تأكيد جانب القوانين أو التشريع الخارجي " ها لا خاه " أي الشرع وذلك بخلاف "العقائد اليهودية" التي تؤكد جانب الإيمان الداخلي، وكان اليهود يستخدمون كلمة توراة للإشارة إلى الشريعة اليهودية، كما أن كلمة " ها لاخاه" تستخدم أحيانا للإشارة إلى التشريعات المختلفة وإنما إلى الشريعة ككل، وهناك شريعة مكتوبة وردت في أسفار موسى الخمسة والعهد القديم، كما أن هناك شريعة شفوية هي في واقع الأمر تفسيرات الحاخامات التي جمعت في التلمود وفي غيره من الكتب، كما أصبحت كتب القبالاه، هي الأخرى جزءا من هذه الشريعة الشفوية"[41]. ويضم" سفر الأمثال إحدى وثلاثين إصحاحا ويشتمل على مجموعة كثيرة من أقوال الحكمة يلخص سعيد حبيب في:

1-اصحاح (1-9) " أمثال سليمان"
2-اصحاح (10:1-22 :16 ) " أمثال سليمان"
3-اصحاح ( 22 :17-24 :22) " كلام الحكماء"
اصحاح ( 24 :23-34) " هذه ايضا للحكماء)
4-اصحاح (25-29) " امثال سليمان نقلها حزقيال)
5-اصحاح (30) " كلام أجور ابن متقية"
6-الاصحاح ( 31: 1-9) " كلام موئيل ملك مسا"
7- الاصحاح ( 31 :10-31) " قصيدة شعرية عن المرأة الفاضلة"[42]

نلاحظ من خلال هذا التقسيم أن تعدد إصحاحات هذا السفر رهين بتعدد مواده ومواضيعه، وهنا نلاحظ أن الأجزاء الأربعة، الأولى في هذا التصنيف تنتمي إلى أحاديث سليمان وأقواله أما الأجزاء الباقية فهي مأخوذة عن أصول أجنبية غربية" ويذهب جمهرة العلماء إلى أن المجموعة الثانية هي أقدم المجموعات في سفر الأمثال، أما المجموعة الأولى فهي أحدثها ولكن بالنظر للعناصر الكنعانية في هذا القسم، يظن بعض العلماء أن جزءا من هذه المجموعة الأخيرة على الأقل، تضمنته أحاديث الحكمة قبل تاريخ السبي، والذي يمكن الجزم به في يقين أن سفر الأمثال يشمل مجموعة عجيبة من الأقوال والأحاديث يمتد تاريخها إلى كل فترات التاريخ تقريبا في العهد"[43]

وتتسم أمثال الحكمة بقصر العبارة وسهولة المأخذ، وتتألف من عبارات لا تربو على سطرين، وتعالج مظهرا معينا من مظاهر الاختبار في الحياة والتجارب التي تعيش الجماعة والفرد، وقد نجد في بعض الحالات يتمشى السطر الثاني في المثل مطابقا متوازيا مع فكرة، السطر الأول، ومثال هذا التوازن المترادف، المشترك في معناه، نجده في أصحاح 22 :1

" الصيت أفضل من الغنى"

" والنعمة الصالحة أفضل من الفضة والذهب"

وفي الحالات أخرى نجد سطرين متضادين، وتطابقا غير مشترك في المعنى، كما في أصحاح 10:1

" الابن الحكيم يسر أباه"

" والابن الجاهل حزن أمه"

" خزامة ذهب في فنطيسة خنزيرة""

" المرأة الجميلة العديمة العقل "

وعلى العموم فالهدف من سفر الأمثال يتلخص في الدعوة إلى الحكمة وطلب المعرفة، وتبقى معظم تعاليمه تربوية محضا تدعو إلى الاستقامة ومحبة الله، وقد بدأ سفر الأمثال بالتأكيد أن مخافة الله ( الرب) هي رأس الحكمة، أي أساس المعرفة الصحيحة والحكمة الحقة، وأن بدء الحكمة مخافة الرب أي أن الإنسان الذي يسعى نجو الحكمة الحقة، أن يبدأ بمخافة الرب، أي يبدأ بالإيمان الحقيقي. وقد انتهى سفر الأمثال بصورة للمرأة الفاضلة

التي تتمم هذا الأمر، فقد ذكرت صفاتها من خلال إصحاحات كل السفر، أي العمل باجتهاد مخافة الله، احترام الزوج بعد النظر التشجيع، الاهتمام بعائلتها والآخرين مراعاة الفقراء وحكمة في حياتها العلمية، وعندما تجتمع هذه الصفات مع مخافة الله، فهي لا بد أن تؤدي إلى البهجة والنجاح الحقيقي، والكرامة والتقدير، وهذا ما أوضحه لنا سفر الأمثال عندما تحدث عن النتائج التي حصلت عليها المرأة الفاضلة التي حصدت النجاح.

ولقد جمع هذا السفر بينما هو ديني ودنيوي من خلال تقديمه لمجموعة من النصائح لكافة شرائح المجتمع اليهودي، بدأ من الأطفال والشباب والرجال والنساء والقادة والفقراء والأغنياء، وقد تحدث عن كافة الظواهر الاجتماعية، من قبيل الزنا والكسل والإدمان والغش وأصدق والسوء، وكما دعا إلى مجموعة من الخصال الحسنة كالأمانة في العمل، والنجاح، وأخيرا وخاصة في الإصحاحات السبعة الأخيرة من سفر الأمثال فإننا نجدها تتضمن أيضا حكمة للقادة في المجتمع والملوك والرؤساء، فدعتهم لكي يكونوا عادلين ومنصفين في حكمهم وقراراتهم، وأن لا يقبلوا الرشوة ويعوجوا القضاء، وأن يعطفوا على الفقراء ويعادلوا الفساد.

- **نماذج من سفر الأمثال**

الاصحاح (1:1) " أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل "

الاصحاح (1 :2) " لمعرفة حكمة وأدب، لإدراك أقوال الفهم"

الاصحاح (1 :3) "لقبول تأديب المعرفة والعدل والحق والاستقامة"

الاصحاح (1 :4) لغطي الجهال ذكاء والشباب معرفة وتدبرا"

الإصحاح (22 :1) " الصيت أفضل من الغنى العظيم "

الإصحاح (25 :2) " مجد الله إخفاء الأمر، ومجد الملوك فحص الأمر"

الإصحاح (31 :10) امرأة فاضلة من يجدها يفوق اللآلىء"

الإصحاح (31 :11) بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة"

**الخاتمة:**

ختاما يمكننا القول بأن الأمثال الشعبية تعبير عن غنى في المواضيع تماشيا مع تغير الظروف والأحوال والمواقف، إلى حد التناقض في حركة ظاهرية وباطنية صاخبة، فمن الاستخفاف بالمظاهر الاجتماعية إلى التحريض على التعلق بمبادئ الاحترام والكرم والتأكيد على التصريح بالمبدأ والهوية، وتمسك بجوهر الأشياء عوض قشرتها، وتكريس نظام السخرية والعبودية والحيطة والحذر والخوف، إلى التأكيد على قيم توازن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ورفض الظلم والاستهزاء من الأخر ووصف الجشع الاجتماعي، والتعارض بين القيم.. كما تعكس الأمثال الشعبية ذلك الخليط الاجتماعي والثقافي القائم في الواقع، وأيضا التاريخي والجغرافي واللغوي: فالأمثال الشعبية توجد في مختلف لهجات و لغات المجتمع بشكل قوي، كأحد أبرز مظاهر التعدد الثقافي.

وقد حملت هذه الأمثال على عاتقها مجموعة من القيم التربوية التي اعتمدت بشكل رئيسي على البعد الاجتماعي، فالمأثورات الشعبية تعتمد في الغالب على التجارب الاجتماعية للأفراد، لأنها تشكل مصدرا هاما يستلهم منه المجتمع مأثوراته الشعبية لتوجيه الأفراد، وقد استخدمت الأمثال أسلوب الأمر لإرسال القيم هذه التربوية للأفراد.

كما تشكل هذه الأمثال كذلك نموذجا يمكن أن يسهم في تربية اجتماعية ويحقق علاقة طيبة بين الناس مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي.

## الهوامش

[1]) عباس الجراري، بقايا كلام في الثقافة، منشورات نادي الجراري 17، ط 1،1999 ، ص: 148

[2]) عباس الجراري، بقايا كلام في الثقافة، منشورات نادي الجراري 17، ط 1،1999 ، ص: 148

[3]) رودلف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، دار الأمانة، ط1، بيروت، 1971، ص: 21

[4]) أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، دار الجيل، بيروت،1987، ص:7

[5]) المرجع السابق، ص7

[6]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه ورتب فهارسه أحمد أمين و إبراهيم الابياري وعبد السلام هارون، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت،1991،ص: 66.

[7]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، مادة " مثل"

[8]) حافظ جلال الدين السيوطي " المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي ، ج1، دار مكتبة التراث، القاهرة، ص: 428

[9]) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ج1، دار الجبل، بيروت، ص: 5-6

[10]) محمد إسماعيل صيني وناصف مصطفى عبد العزيز ومصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان الطبعة الأولى، 1996، ص : ط

[11]) المرجع السابق، ص: ط

[12]) أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، مرجع سابق، ج1، ص: 7-8

[13]) إدريس كرم، الأدب الشعبي المغربي، مرجع سابق، ص:23

[14]) إدريس كرم، الأدب الشعبي المغرب، مرجع سابق، ص:32.

[15]) أحمد شحلان، كنز أمثال يهود المغرب، مجلة: الأمثال العامية في المغرب تدوينها و توظيفها العلمي و البيداغوجي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دجنبر 2001، ص: 333

[16]) المرجع السابق، ص 333-334.

[17]) المرجع السابق، ص: 334

[18]) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ج1، القاهرة، ص:487

[19]) المرجع السابق ،ص: 487

[20]) سورة البقرة، الأية: 17

[21]) سورة البقرة، الآية: 261

[22]) سورة العنكبوت، الآية: 41

[23]) سورة الجمعة، الآية: 5

[24]) سورة الشورى، الآية: 40

[25]) سورة أل عمران، الآية: 92

[26]) الحسن بن الفضل، الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة التوبة، ط 1،1996، ص:9

[27]) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق، ص: 488

[28] ) ابن المقفع، الأدب الصغير، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ،1961، ص: 40-41

[29] ) نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي،مرجع سابق، ص: 144

[30]) صموئيل الأول، (24_13)

[31]) صموئيل الثاني،( 12_24)

[32]) قاموس الكتاب المقدس، الطبعة السادسة، مكتبة المشعل، بيروت 1981، ص: 481

[33]) أحمد عيسى الأحمد، داود سليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، 1990،ص99

[34]) قاموس الكتاب المقدس، ص: 481

[35]صموئيل الثاني،( 12_25 )

[36] ) أحمد عيسى الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم و القرآن الكريم، ص: 99

[37]) المرجع السابق، ص: 100

[38]) سيل ( القس سيكل )، المرشد إلى الكتاب المقدس، مكتبة المشعل الانجيلية، بيروت، 1958، ص: 116

[39]) حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي( أطواره ومذاهبه) دار القلم،ط4، دمشق،1999، ص:50

[40])حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، ص: 145

[41]) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد5، ص: 22

[42]) حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص:146

[43]) المرجع السابق، ص:146.